الكتابة الدرامية و أسئلة النقد

طالبة دكتوراه: خالي روزة، إشراف الدكتور: بلبشير عبد الرزاق،
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
- البريد الإلكتروني: khaliroza.art91@gmail.com

تاريخ الإرسال:2018/05/12	تاريخ القبول:2018/12/23	تاريخ النشر:2018/12/26

الملخص :

سعيت في هذا البحث إلى تبيان و إظهار واقع النص المسرحي الجزائري عبر المراحل التي مر بها ،وهي مراحل قوة و ازدهار،اكتسب فيها النص المسرحي الجزائري هيكله و خاصيته و امتيازاته ومراحل ضعف تراجعت فيها الكتابة الدرامية الجزائرية مقارنة ببدايته.

سعيت أيضا إلى إظهار أفاق الكتابة الدرامية الجزائرية من خلال الموضوعات التي يتناولها النص المسرحي الجزائري ومن خلال إشكالية الكتابة الدرامية.

الكلمات المفتاحية: مراحل ;تطور;الكتابة الدرامية; المسرح الجزائري، النقد.

Abstract

In this research, I sought to show the reality of the Algerian theater text through the phases of strength and prosperity, in which the Algerian theater text acquired its structure, privileges, and stages of weakness in which the Algerian dramatic writing was compared to its beginnings.

I also sought to show the prospects of Algerian drama writing through the subjects covered in the Algerian theater text and through the problematic drama writing.

key words: The stages; development; dramatic; writing; Algeria Theater;critic.

مقدمة

منذ أكثر من قرن و المفاهيم الغربية هي القيم الفنية السائدة و المهيمنة، و أغلبية الفنانين أن لم نقل جلهم من االفنانين المسرحيين الجزائريين الذين يتواصلون في النتاج الفني المسرحي، منذ هذا التاريخ إلى اليوم فنانون تعلموا و تخرجوا من معاهد الفن في عواصم الغرب موسكو، و بغداد ،و باريس و غيرها، أو معاهد الفن العربية و الجزائرية التي تتبع أساليبها و تطبيق قيمها. لكن إلى الآن لا تبدو هذه القيم و المفاهيم في الجزائر على الخصوص مستقرة وشاملة بالمفهوم الثقافي و الحضاري العام، فهي لا تزال على الصعيد الاجتماعي و الثقافي تثير حولها التباسا و مناقشات حادة، فلا الاعتراف الشامل بالفنان و نتاجه، و لا الجامعة أو المعهد و لا الكتاب أو الناقد أو المتذوق في أوضاع استقرار و ثبات، بحيث يمكن الانطلاق من كونها تمثل حقائق عميقة هي جزء من قناعات المجتمع"[1].

فالتجديد في المسرح الجزائري انطلاقا من التراث و إشكال التفسير الشعبي أو بمعنى آخر تأسيس مدرسة مسرحية جزائرية متميزة لا يزال في إطار التجريب و الاختبار و المحاولة، من خلال تجارب مسرحية عديدة نذكر منها تجربة "ولد عبد الرحمان كاكي، تجربة عبد القادر علولة بوهران، كاتب ياسين، محمد شواط و عباس بودن بسيدي بلعباس وتجربة فوزية ايت الحاج بالعاصمة تجربة مسرح لبحر، مسرح القلعة هذا من جهة و من جهة أخرى كيف يمكن لمسرحي ناشئ أن يطلع على سبيل المثال على أثار هؤلاء المسرحيين أو من سبقوهم في هذا المجال، أو يتوقف مثلا على تجربة واحد منهم خاصة المتوفون منهم ؟ وإلى أين يذهب ؟ إلى مركز الدراسات الإنسانية و التوثيق، إلى المكتبة الوطنية بالحامة إلى المكتبات الجمهورية و المحلية إلى مكاتب الأرشيف بمؤسسات المسارح

[1] إدريس قرقرة : التراث في المسرح الجزائري :دراسة في الأشكال و المضامين .

الجهورية و الوطنية، هذا إن وجدت و كيف يمكن لمسرحي في بداية الطريق من الشباب أن يطلع على مسار هذا الفن من بداياته ؟.

أولا: ظروف نشأة المسرح الجزائري:

يعد المسرح وسيلة من الوسائل الفعالة التي تعبر بها الشعوب عن قضاياها الاجتماعية و السياسية و ترسم من خلالها تطلعاتها ، فكان بذلك اقرب إلى الذات الإنسانية من الفنون الأدبية الأخرى.

و لما كان كذلك فقد لعب المسرح في الجزائر دورا مهما في توعية الشعب و إصلاحه سياسيا و اجتماعيا ، إذ إن هذه الأخيرة عرفته منذ القديم و ذلك من خلال الحضارات التي تداولت عليها بداية من الاستعمار الروماني وهذا ما تدل عليه الآثار الرومانية التي تؤكد وجود مسارح خاصة تلك الموجودة في المدن الجزائرية و المشاهدة على جذور المسرح في الجزائر .

كما كان للحملة الفرنسية خلال القرن التاسع عشر الأثر الكبير حيث استقدموا فرق مسرحية تقدم عروض للجنود الفرنسيين في الثكنات ،إذ ألهمت الجزائر الكتاب الفرنسيين ما يربو عن 43 مسرحية و ذلك ما بين (1830–1925) , إلا أن الملاحظ أن الشعب الجزائري لم يحتك بثقافة المستعمر و بقي متمسكا بهويته وعاداته و تقاليده لأنه يرى أنها محاولة لطمس معالم الثقافة العربية الإسلامية لذا حاربها بكل قوة .

"كما لم تعثر المراجع على وجود فن مسرحي، أو كتابات مسرحية جزائرية خلال هذه الفترة إلا نصا مسرحيا واحدا باللغة العربية ، و هو"نزهة المشتاق و غصة

العشاق في البحث عن الترياق في بلاد العراق "لإبراهيم دانينوس والذي كتب سنة 1847"[1].

إلا انه من سنة (1900–1921) حدثت تغيرات في الجزائر، أدت إلى نوع من الانفراج إذ خفت وطأة المستعمر وقلت شدة المقاومة المسلحة و بدأت سمات التلاقي ، و الحوار، و الثقة تبدو في الأفق مما جعل الشعب الجزائري يطالب بحقه في التمدرس ، إذ تولت نخبة من المثقفين الجزائريين بالثقافة العربية ، و الفرنسية مهمة المقاومة الجديدة ، وهي المقاومة بالحوار و تلك ضرورة أملتها المرحلة التاريخية و لصالح الوطن .ولقد انقسم الجزائريون إلى ثلاث فرق:

1- فرقة تنادي بالاندماج ، و تعمل جاهدة إلى الانضمام تحت جناح المستعمر، و التثقيف بالثقافة الأوروبية .
2- فرقة تحذر من عاقبة هذا المنحدر الخطير ، و الذي يسعى إلى سلخ هوية الشعب الجزائري ، و إدراجه نحو الفرنسية و التفرنس.
3- فرقة معتدلة تدعو إلى العمل و الاستفادة من الثقافة الأوروبية و الأخذ منها ما ينير العقل ، و يغذي الفكر.

احتدم الصراع بين النخبة المثقفة المعتدلة و الداعية إلى التمسك و المحافظة على التراث العربي الإصلاحي من جهة الاندماجيين ، و النظام الاستعماري من جهة ثانية ، فأنشأت الفرق الثانية و الثالثة جمعيات و نوادي فنية وثقافية ، و ظهرت عناوين الصحف أسبوعية و يومية و أقاموا مهرجانات و محاضرات لبث

[1] ينظر : صالح لمباركة ، المسرح في الجزائر ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، ط2 ، الجزائر 2007 ، ص22-27.

الروح الوطنية والاهتمام بالجوانب السياسية و الاجتماعية و إرساء الثقافة العربية الإسلامية و الحفاظ عليها [1].

يعود الفضل في إرساء دعامة الفن المسرحي في الجزائر إلى الأمير خالد حيث اطلع على أهمية المسرح في إيقاظ الأمة و ذلك خلال تواجده في فرنسا للدراسة ، فطلب من الممثل المصري جورج الأبيض – حينما التقاه في باريس سنة 1910 – أن يبعث له ببعض المسرحيات لتمثيلها في الجزائر .

فأرسل له عدة مسرحيات منها مسرحية 'مكبث' لشكسبير تعريب محمد المصري ، و مسرحية 'المروءة و الوفاء' لخليل اليازجي . و بعدها انشأ الأمير خالد ثلاث جمعيات ، واحدة في العاصمة و أخرى في البليدة ، و الثالثة في المدية، قامت هذه الجمعيات بتقديم عدة عروض مسرحية ونشاطات طول السنوات اللاحقة و قد كان نشاط هذه الجمعيات نشاطا سياسيا بالدرجة الأولى يسعى إلى تكوين جبهة قوية لمقاومة المستعمر و بعث الحماس في الشباب الجزائري و توعيته بظروفه و أحواله من اجل دفعه للتفكير في الحرية و المستقبل .

لقد تميزت هذه الفترة باهتمام المثقفين الجزائريين بالثقافة العربية و انتشار النشاط الفكري و الثقافي إذ لم يقتصر على العاصمة فقط بل تعداها إلى المدن الداخلية و هذا على الرغم من تعنت السلطات الفرنسية و من ملاحقة و حراسة و قمع و اعتقال المثقفين ، كما صدرت بعض الصحف في إعدادها الأولى .

و للاتصال بالشرق العربي و زيارة المشارقة للجزائر أهمية كبرى لدى الجزائريين و بعث الأمل و مواساتهم في محنتهم "[2] ، إذ اخذ هذا الاتصال صبغة تثقيفية و تعليمية خاصة في القرن التاسع ، عشر حيث زار عدد كبير من العلماء و الأدباء

[1] ينظر ، صالح لمباركة ، المسرح في الجزائر ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، ط2 ، الجزائر 2007، ص 33-37.

[2] ينظر ، صالح لمباركة، المسرح في الجزائر، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، ط2، الجزائر 2007، ص 38-41.

الجزائر أمثال : الشيخ محمد عبدو ، محمد زيد ، احمد شوقي ، فاطمة رشدي ، يوسف وهبي ، جورج الأبيض ، و هذا الأخير الذي أرخ بعضهم نشأة المسرح الجزائري بمجيئهم إلى الجزائر سنة 1921 غير أن علالو يقر في مذكرته (إن المسرح الجزائري ظهر في هذه الفترة بظروف متقلبة من عمر النهضة الوطنية حيث ولد المسرح الجزائري الذي كان عنصرا هاما في الثقافة العصرية)[1] . و هذا دليل على أن الفن المسرحي في الجزائر لم يبدأ بمجيء جورج الأبيض بل كان يمارس قبل ذلك و هناك عدة تداعيات سياسية و اجتماعية و أدبية دفعت المهتمين بالمسرح إلى إبرازها بشكل كبير واضح، كما أن هناك فرق زارت الجزائر قبل فرقة جورج الأبيض و هي فرق تونسية قدمت عروضا مسرحية و غنت مع الجوق التونسي و ذلك قبل الحرب العالمية الأولى ، و من المسرحيات التي عرضت : مسرحية "عطيل و العباسة " صلاح الدين الايوبي " و هي مسرحيات باللغة العربية الفصحى و قد أحرزت نجاحا لفت نتباه الفرنسيين.

و قد ارجع المهتمون بنشأة المسرح الجزائري أسباب فشل و إخفاق فرقة جورج الأبيض في الجزائر بينما نجحت في طرابلس و تونس إلى النقاط التالية :

1- ضعف مستوى اللغة العربية الفصحى عند الجزائريين و صعوبة فهمهم لها مع عدم تداولها بينهم.
2- انشغال الشعب الجزائري بهمومه و مشاكله المختلفة التي يعيشها حالت دون الاستجابة المنتظرة منه لمثل هذه المبادرات الفنية ذلك آن المسرح لا يظهر إلا عند الأمم الراقية.
3- دمج النخبة المثقفة في الحضارة الغربية و هي لم تتذوق المسرح العربي الشرقي بعد

[1] ينظر : صالح لمباركة ، المسرح في الجزائر ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، ط2 ،الجزائر 2007ص42 (نقلا عن علالو، مذكرات علالو،ص20).

4- قاعة المسرح التي قامت فيها المسرحيتان كانت بعيدة عن وسط المدينة الأوروبية (الجزائر) و أكثر بعدا عن المناطق التي يقنطها المدنيون الجزائريون .

5- إن عنوان المسرحيتين لا يوحيان بجاذبية لدى الجزائريون "صلاح الدين" و قد أثرت باقي العرب , و حتى جورج لا يعبر عن الإسلام و العروبة لديهم"[1] .

بعد سنة 1921 قدمت فرقة المهذبية جمعية الأدب و التمثيل العربي و التي يرأسها علي الشريف الطاهر ثلاث مسرحيات و هي أول نصوص المسرحية التي كتبت في الأدب الجزائري الحديث.

و ابتداء من سنة 1926 ظهر عمالقة المسرح الجزائري و اللذين وضعوا اللبنات الأولى له و على رأسهم علي سلالي و المدعو "علالو" تلميذ جمعية العلماء المسلمين الجزائريون و قد ألف مجموعة من المسرحيات منها مسرحية "جحا " و التي تم تنفيذها سنة 1926 و لقيت إقبالا كبيرا من طرف الشعب الجزائري حيث تناول فيها قضايا اجتماعية إذ يقول عبد المالك مرتاض عنها أنها "أول مسرحية فهمها الشعب الجزائري و تذوقها"[2].

كما كان لمحي الدين باش طرزي دورا هاما في جعل المسرح وسيلة من وسائل الإصلاح الاجتماعي و محاربة الآفات و تقريبه من المجتمع و ذلك من خلال عرضه لأغلب مسرحياته و التي كانت باللهجة العامية. و قد برز فيما بعد رشيد القسنطيني و الذي يعد أب الفكاهة في الجزائر حيث اهتم بالنضال السياسي لإبراز تاريخ و هوية الشعب الجزائري ،" ألف عدة مسرحيات من بينها "عيشة و

[1] ينظر : المرجع السابق ص 44-45.

[2] عز الدين جلاوجي : النص المسرحي في الأدب الجزائري ،منشورات أهل القلم ،ط1، الجزائر ، (د.ت) ص41 نقلا عن :عبد المالك مرتاض : فنون النشر الأدبي في الجزائر ، ص198.

باندو" سنة 1932 ، بابا قدور الطماع سنة 1929، " أشن قالوا "سنة 1938" لقد اشترك هؤلاء الرواد في اعتمادهم على اللغة العامية و الارتجال والعفوية في عروضهم المسرحية و هذا ما جعلنا لا نجد نصوص للمسرحيات تم تمثيلها في تلك الفترة .

هذا فيما يخص بدايات الأولى للمسرح الجزائري أي ما بعد الحرب العالمية الثانية فقد شهد الشعب لجزائري تطورا ملحوظا قفزة نوعية حيث برزت عدة أقلام كتبت في المجال المسرحي و تنوعت العروض المسرحية ، و قد قسم عز الدين جلاوجي (النص المسرحي في الأدب الجزائري مراحل تطور النص المسرحي في الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية إلى أربع مراحل و ذلك على أساس الموضوعات كما يلي :

1- النص المسرحي قبل الثورة :

سادت في هذه الفترة المسرحية التاريخية ، و انصب الكتاب في هذه المرحلة على استلهام التاريخ لشحذ الهمم وإثارة النعرة القومية للشعب الجزائري بالعودة إلى الماضي ، و استلهامه ، و الاعتبار منه ، نحو مسرحية المولد سنة 1949 لعبد الرحمن الجيلالي و مسرحية يوغرطة لعبد الرحمان ماضوي و غيرها.

2- الثورة التحريرية تألف نصها المسرحي :

بعد اندلاع الثورة ، انتقل الكتاب الجزائريون إلى تونس و فرنسا ، وواصلو النضال ، حيث تحولوا من استلهام التاريخ إلى استلهام قيم الثورة ، و مبادئها فكتب حميد رايس مسرحية أولاد القصبة 1953 و مسرحية النور سنة 1957 ، وكتب مصطفى كاتب مسرحية الدم الأحرار و الخالدين سنة 1967 ، و ألف ولد عبد الرحمان كاكي عدة مسرحيات منها مسرحية دم الحب سنة 1953 ، "الكوخ" سنة 1958 ، و القراقوس سنة 1960 .

3- سيادة المسرح الاجتماعي بعد الاستقلال :

تناول النص المسرحي بعد الاستقلال مشاكل اجتماعية كالطلاق ،الزواج ،البطالة ،.....الخ. و ابتعد عن كل ماهو سياسي ، حيث برز الكتاب نحو احمد بودشيشة 1951 ، حيث ألف ما يقارب 20نص مسرحي ، ما بين 1970و1986 ، و هي المقص –اللعبة–وفاة الحي الميت–الصعود إلى سفينة –...الخ. كما كتب محمد مرتاض مسرحية الانتهازية ، حيث تعالج مشاكل الإدارة ، و ألف"علاف زهير " مدرسة العجائب سنة 1983 ، و كذا كتب علال عثمان مسرحية سيدي العفريت سنة 1990 و غيرهم .

4- المسرح السياسي :

بدأ هذا النوع مع بداية تشكل الوعي السياسي و انفتاح باب الديمقراطية ابتداء من التسعينات و من أعمال المسرحية السياسية نجد مسرحيات عز الدين جيلاوجي "النخلة و سلطان المدينة" سنة 1991 ، و مسرحية البحث عن الشمس سنة 1989 و غيرها من المسرحيات. تتولى بعد ذلك الكتابات المسرحية إذ حاول أصحابها تسليط الضوء على ظواهر السلبية في المجتمع و تصوير الواقع بكل صدق.

ثانيا: أول نص مسرحي جزائري: نزهة المشتاق و غصة العشاق لإبراهيم دانينوس :

تأخذ مسرحية "نزهة المشتاق و غصة العشاق في مدينة ترياق بالعراق لمؤلفها إبراهيم دانينوس أهمية كبرى في تاريخ المسرح العربي ، من حيث الريادة المسرحية الجزائرية ، على مستوى العالم العربي ، و "اتضح لنا أنها أسبق زمنيا من مسرحية البخيل لمارون النقاش المقتبسة عن مسرح موليير"،فمسرحية دانينوس تبدو أكثر أصالة من البخيل ، و من العديد من المسرحيات العربية

المبكرة، التي كانت تقليدا باهتا و أعمى لأعمال الغربية "البخيل،" المقتبسة عن موليير و قد استعمل دانينوس في مسرحيته الأساطير الشعبية ،و كتبها بأسلوب شاعري على غرار الموشحات الأندلسية، و استخدام لغة وسطية بين العربية الفصحى و الدارجة"[1] ،أما موضوع هذه المسرحية تناولت حب بين زوجين فرقتهما الأقدار لكن الإخلاص، و الثبات ،و الوفاء للأخر قاد كل ذلك إلى انتصار الحبيبين على الظروف ،و يمكن اعتبار "هذا النص نزهة المشتاق و غصة العشاق لإبراهيم دانينوس أول نص في تاريخ الكتابة الدرامية

الجزائرية لتوفره لعناصر درامية[2].

ثالثا: مراحل تطور الكتابة الدرامية في الجزائر و خصائصها:

مر النص المسرحي الجزائري من نشأته إلى يومنا هذا بمراحل تاريخية عدة ،منها المراحل التي عرف فيها النص المسرحي الجزائري نهوضا ،و تطورا ،و ثراء ،من حيث درجة التأليف ،أو الموضوعات، أو من جانب الشكل و البناء والمضمون، وأيضا مراحل عصبية عرف فيها تراجعا و ركودا.

المرحلة الأولى (1921–1926) : عرف فيها الجزائريون المسرح من طرف المحتلين الفرنسيين مسرحا بمفهومه الغربي ،حينما كان الجنود الفرنسيين يقدمون مسرحيات ترفيهية للجيش الفرنسي ، رغم أن بعض المسرحيين كجورج ابيض و قبلها فرقة القرداحي الزائرة للجزائر حاولوا أن يضعوا أسسا لمسرح عربي في الجزائر، من خلال المسرحيات التي قدموها فوق تراب الوطن ،كمسرحيات عطيل ،و العباسة ،و صلاح الدين الأيوبي، التي عرضت معظمها في 1910 و 1911م.

[1] احمد بيوض – المسرح الجزائري –1926–1986) منشورات .

[2] التبيين الجاحظية طبعة سنة 1998.

و قد فشلت معظمها بسبب جهل المتلقي الجزائري لهذا الفن الجديد، "كما كان الكثير من الجزائريين يجهلون أصلا هذا المسرح و يجهلون الطريق الذي يؤدي إليه "[1]

و أيضا لا مبالاة الجمهور الذي بدا له أن المسرح غير وفي للتقاليد، و أيضا مشكلة اللغة، فالجمهور لم يتقبل اللغة العربية الفصحى بجهله لهذه اللغة ، و لعدم التعود على سماعها ،أما علالو يذهب" انه نشئ مسرح من طرف جزائريين ،أمثال الطاهر على الشريف الذي كتب كل من مسرحيات "الشفاء بعد العناء " في سنة 1922 وقاضي الغرام سنة 1924 و مسرحية بديع "[2]

1926-1934 : امتازت هذه المرحلة ببروز الفنانين اللذين قدموا مسرحيات واقعية اهتمت بقضايا الشعب والمقاومة السياسية التي بدأت في مطلع العشرينات ، و من ابرز رجال المسرح في هذه الفترة فهو رشيد القسنطيني من خلال مسرحياته الناقدة ،و الساخرة للأوضاع السائدة ،جراء الاستعمار الفرنسي، و أيضا قدموا مسرحيات اجتماعية تناولت الآفات الاجتماعية المختلفة كشرب الخمر و الزواج المتعدد.

1934-1939 : تمثل هذه المرحلة بروز المسرح الجزائري، حيث كان لظهور الأحزاب السياسية الوطنية ، دور في إعطاء المسرح الطابع السياسي، و زاد نشاط رشيد القسنطيني ،الذي كتب للفرقة الشعبية مسرحيات نقدية ساخرة خلفت نوعا من العلاقة الروحية بين المسرح و الجمهور، رغم كثافة الرقابة الاستعمارية على مضمون المسرحيات .

1939-1945 : و هي فترة الحرب العالمية الثانية، حيث حدث انقطاع بين المسرح و الجمهور لتزايد الرقابة الاستعمارية، ولبروز الأحزاب السياسية الوطنية

[1] مجلة الأقلام: 55، 1980، الجزائر.

[2] شروق المسرح الجزائري 1926-1932- علالو مركز التوثيق في العلوم الاجتماعية و الإنسانية وهران 1982

في شكل جبهة مناهضة لاستعمار الفرنسي الذي وقف بالمرصاد لهذه التطورات، حيث كانت شدة الرقابة الاستعمارية حول النصوص المسرحية ،فهذه الفترة هي الدافع للمسرحيين الجزائريين نحو الاقتباس، فأصبح المسرح لا يعكس الواقع الوطني ،تحدي المسرح الاستعمار و برز آخرون على الساحة المسرحية نذكر منهم : محمد الثوري –مصطفى قزدلي.

1954-1962 : اندلعت الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954، و في هذه الفترة لقي المسرح ضغطا وتضييقا كبيرين، حيث قرر الاستعمار سحق الشعب الجزائري أرضا ، تاريخا ،و ثقافة ، و أمام هذا الوضع اضطر المسرح أن يلجا إلى الخارج لإتمام رسالته النضالية ، مر المسرح في المهجر بفترتين مختلفتين من حيث نوعية النضال السياسي .

كانت الفترة الأولى التي عاشها المسرح الجزائري في فرنسا أنها لم تعرف الكثير في مسار الثورة، بسبب الضغوط الاستعمارية التي كانت لا تسمح بالنشاط المسرحي المرتبط بالعمل السياسي، و على العكس من ذلك ففي تونس عمل المسرح بحكم عامل المكان على تعميق الكفاح النضالي ضد الاستعمار الفرنسي، و كان بمثابة المنبر الذي كان يعلو منه صوت و ثورة الشعب من خلال المسرحيات المقدمة ،نحو مسرحية "النور" ،"أولاد قصية لعبد الحليم رايس و الخالدون، " و دم الأحرار".

مرحلة ازدهار الكتابة الدرامية في الجزائر : من الطبيعي جدا أن تكون رسالة المسرح الجزائري امتداد لمهمته التي قام بها قبل الثورة التحريرية المتمثلة في التعريف بالقضية الجزائرية للرأي العام الدولي و حمايته الشخصية الوطنية و محاربة الآفات الاجتماعية ،ففي فترة ما بعد الاستقلال إلى فترة البناء و التشديد و محاولة التحرير الاقتصادي ، الاجتماعي ،و الثقافي ، كان لا بد للمسرح أن يكسب نفسا جديدا أو طويلا لمواصلة الدرب عن طريق التحرر التام ، و هذا ما

دفع الحكومة إلى تأسيسه كإجراء وطني ثوري يخدم الثقافة الوطنية و الاختيار الاشتراكي التي تبنته الجزائر، أصبح المسرح في الجزائر التي تبنت الاشتراكية ملكا للشعب ،و ستبقى سلاحا لخدمته, فمسرح هذه الفترة كان معبرا عن الواقعية الثورية التي تحارب الويوعية و تبني المستقبل ،فحارب مسرح هذه الفترة كل ظواهر السلبية التي تتنافى و مصالح الشعب ، بحيث برز في هذه المرحلة كل من رويشد ، مصطفى كاتب وولد عبد الرحمن كاكي"، فمن مسرحيات رويشد الفكاهية المتميزة "حسن طيروا" ،"الغولة" "البوابون"[1]، وكلها من تأليفه ،و عالجت المشاكل التي يعاني منها مجتمعنا كالبيروقراطية، الانتهازية ،و الوصولية و الترشيد إلى أخر و المشاكل الاجتماعية المختلفة ، كما ترك كاتب ياسين بصمته في المسرح الجزائري و لا شك في مسرحتي "الجثة المطوقة" و صاحب "النعل المطاطي" و غيرها من الأمثلة التي تعكس قدرته المسرحية الكبيرة .و كذلك نجد ولد عبد الرحمن كاكي من هؤلاء المتميزين في هذه الفترة خصوصا نحو مسرحياته "واحد حكمه" .و"قراب الصالحين" و"ديوان القراقوز". و "إفريقيا قبل الواحد و 132سنة".

مرحلة تراجع الكتابة الدرامية:

الفترة الأولى: 1973-1977 : بدأت هذه الفترة مع قرار اللامركزية لعام 1972 الذي نص على انتماء مسارح جهوية في كل من وهران ،و عنابة، و قسنطينة ،و سيدي بلعباس أما عن مضمون المسرحيات في هذه الفترة سيطر المسرح الجهوي بوهران إذا قارناه بالمسارح الأخرى. كما برز في هذه الفترة المسرح المركزي(العاصمة) بإنتاج لا باس به ومن المسرحيين اللذين برزوا بالمسرح الجهوي بوهران ،نذكر عبد القادر علولة بمسرحياته "الجفوة" ,"حمام ربي " "حوت يأكل حوت " القراب الصالحين" .

[1] ينظر حديث مع المسرحي محمد بني قطاف افريل 1981 المسرح الوطني

الفترة الثانية :1978- 1981 إذا كنا قد لاحظنا في الفترة السابقة غياب المسرح الجهوي لقسنطينة و سيدي بلعباس فان هذه الفترة شهدت تقلص المسرح الجهوي بعنابة و فتور أصاب المسرح الجهوي بوهران، والشلل الذي أصاب المسرح المركزي بالعاصمة.

رابعا: مصادر التأليف المسرحي الجزائري :

1- **حركة الاقتباس و الترجمة:** اعتمد الإنتاج المسرحي في عهد الإدارة الفرنسية على إبداعات بعض العساكر الفرنسيين و مؤلفات درامية كلاسيكية للمسرح الفرنسي كموليير و كورناي و راسين وبعض العروض لضيوف مسرحيين قدموا من فرنسا إلى الجزائر، أما المسرح الناطق باللغة العربية و العامية فقد اعتمد منذ بدايته على الاقتباس و الترجمة مثل مسرحية البخيل "انتجونا" "عطيل"إلى غيرها من المسرحيات المقتبسة من المسرح الكلاسيكي و الرومانسي و الاليزابيتي و غيره ... .

2- **توظيف التراث الشعبي** : نجد العروض المسرحية التي قدمت عبر المسار المسرحي الجزائري، اعتمدت على ينابيع و مصادر من ألف ليلة وليلة ، و التراث الشعبي كمسرحية "جحا" لسلالي علي، و من ثم رجع معظم هؤلاء المسرحيين الجزائريين التراثية شكلا و مضمونا نحو القوال ، الحلقة ، الراوي ، المداح ،الفرجة، المسرح الاحتفالي، القراقوز ،خيال الظل .

3 - توظيف التاريخ و المرجع الديني في النص المسرحي الجزائري:

أخذ المسرحيين الجزائريين في معظم أبدعاتهم المسرحية، مواضيع مأخوذة من تاريخ المقاومة للشعب الجزائري عبرة القرون ، نحو مسرحية حنبل لأحمد توفيق المدني ، و مسرحية يوغرطا، و مسرحية تراب لأبو العيد دودو ، وأيضا استلهموا الشخصيات التاريخية و الدينية عبر التاريخ الإسلامي ، كمسرحية

"العبد بلال " لمؤلفها محمد العيد خليفة ، و مسرحية المولد لعبد الرحمن الجيلالي، و غيرها من المسرحيات المستقاة من التاريخ ، و المرج الديني.

خامسا: اثر الاتجاهات المسرحية العالمية الكبرى في المسرح الجزائري:

أ- اثر المسرح الكلاسيكي في النص المسرحي الجزائري:

حملت الحملة الفرنسية على الجزائر شانها شان كل الحملات الاستعمارية في العالم "الكتاب و مفكرين والمهندسين و العلماء و الأدباء و الفنانين و الصحافيين، إلى جانب الجنرالات و القوات البحرية و البرية وألاف من الخيل و العتاد الحربي الخفيف و الثقيل"[1] ، و كان القادة الفرنسيون يحاولون أصباغ حياة المجتمع بصبغة الأوروبيين ، ووفروا للسكان الجدد الأوروبيين حياة ثقافية ذات نمط أوروبي من قاعات للمطالعة وإصدارات للجرائد و مطابع و استقدموا فرقا مسرحية من فرنسا لتقدم عروضا في الثكنات و قاعات الأفراح وأماكن اللهو و الترفيه ، فقد اعتمد الإنتاج المسرحي في عهد الإدارة الفرنسية اعتمد على إبداعات بعض العساكر الفرنسيين و مؤلفات درامية كلاسيكية للمسرح الفني كموليير و كورني وراسين و بعض العروض لضيوف مسرحيين قدموا من فرنسا إلى الجزائر ، كما أن المسرح الناطق باللغة العربية و العامية اعتمد في بدايته على الاقتباس و الترجمة من المسارح الكلاسيكية ، مثل :"أنتجونا" لكتابها سوفيكلس و غيرهم ، و من المسرح الايليزيتي "عطيل" لمؤلفها وليام شكسبير و آخرون ، و من المسرح الأوروبي الكلاسيكي كروني موليير وآخرين.

[1] ينظر اندري لرنيان نويشي ، ايف لاكوست : الجزائر بين الماضي و الحاضر ،ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1984 ص230.

ب/ اثر المسرح الملحمي في النص المسرحي الجزائري

وجد جل المسرحيين الجزائريين ضالتهم في المسرح الملحمي الذي يحث على الثورة ،و على الاستبداد والتغيير و التجديد نظرا إلى ظروف الاستعمار، و أساليبه المستخدمة في قهر الشعب الجزائري "،و من المؤثرين ببريخت نجد ولد عبد الرحمان كاكي الذي عرض مسرحياته الصفاء و المرابطون الثلاث سنة 1968مستلعهما مادته و حكاية شعبية صينية و من مسرحية بريخت الإنسان "الطيب من ششوان"[1].

و كتب "عبد الرحمان كاكي" مسرحية "132 سنة" و قد جاءت المسرحية على شكل فلاشات ضوئية إيحائية فصارت المسرحية " تتابع لوحات ترى القصة التي يرويها المداح"[2]، فهذه الفلاشات الإيحائية ترمز للحدث و ترجع الملتقى إلى هذا الحدث و تربطه بالإطار التاريخي، و هذه إحدى خصائص الملحمية.

كما نجد كاتب يسين من أهم الكتاب المسرحيين الجزائريين تأثرا بالمسرح الملحمي ، و بعد مسرحياته "الرجل ذو الصندل الكاوتش"[3] التي عرضت سنة 1970 خير دليل على هذا التأثر، و هو ما جعل مسرحيات "كاتب ياسين" تصنف ضمن روائع الأدب العالمي "فلا يعتبر مسرح كاتب يسين مسرحا يخص الجزائر وحدها ، و إنما يقف إلى مصاف روائع الأدب العالمي تلك الصيحة العنيدة التي أطلقها في قوة و إصرار تلك الأغنية العميقة الخالدة ، يختار لها

[1] -VOIR : Roselyne baffet : tradition théâtre et modernité en Algérie ,ed l'hamattan ,paris 1985 , p78-89.

[2] Sidi m'hamed lakhdar barka : la chanson de geste sur la scéne ou l "expérience de ould Abderrahmane , ed C.D.S.H , Oran 1981,p2.

[3] تناولت مسرحية "الرجل ذو الصندل الكاوتش" :قصة نضال الشعب الفيتنامي ضد المحتل الأمريكي كما أنها تحمل أيضا دلالات عن نضال الشعب الفيتنامي ضد المحتل الأمريكي كما أنها تحمل أيضا دلالات عن نضال الشعب الجزائري ضد المحتل الفرنسي حيث لا تعرض قصة الكفاح ضد المحتل فقط، بل تتعداه إلى محاربة صراع الطبقات و محاولة القضاء على التمييز العنصري في جميع أنحاء العالم بما فيها "الجزائر" أثناء الاحتلال الفرنسي ألقت الضوء على الاستعمار بجميع أشكاله كما اهتمت بالمشاكل التي تعم العالم اجمعه.

يسين الكلمة الصورة ببراعة تميز أسلوب لكاتب "كاتب يسين " وتساهم في إبراز مستواها الفني الرفيع"[1].

سادسا: إشكالية الكتابة المسرحية الإبداعية:

تأخذ الكتابة المسرحية صعوبة كبيرة إذا ما قرنت بالأنواع و الأجناس الأدبية الأخرى، فالعقلية الدرامية تحتاج إلى ركائز و شروط قد لا تحتاجها الأجناس الأخرى، منها على سبيل المثال القدرة على خلاص من النبرة الواحدة أو الصوت الواحد و بالتالي الرأي الواحد ،هذه الاتجاهات عبر الحوار بشخصيات متعددة الملامح والنوازع و الرؤى ،ليس يسيرا الإمساك بها .

الكتابة المسرحية إذا كتابة تعددية بمعنى ما، و العالم المسرحي الذي ينسج خيوطه الكاتب، يتوقف نجاحه على الحياة الأخرى العرض، إذ يتحول الكاتب إلى أحد الصناع أو مبدعي هذا العالم الفني الجميل على اعتبار أن النص المسرحي "يتألف من عدة مكونات أدبية و درامية و كلما كانت هذه المكونات غنية في مدلولها و عميقة في أهدافها و متكاملة في بناءها و منسجمة في جمعيتها جعلت النص أكثر استعدادا للتغيير و التحويل بل إن هذا الغنى نفسه هو الذي يحفز على التحوير و لا شك أن هذه القبلية للقراءة المتعددة ميزة سيسعي إلى تحقيقها كل مؤلف درامي "[2]، و ثمة جانب آخر تجدر الإشارة إليه هو أن الكاتب المسرحي الجزائري لا يملك موروثا نصيا و بصريا كبيرا كذلك الذي يملكه نظيرة الأوروبي و عليه فإن الباحث عن الدرامية غير الذي يجد نفسه في مركزها وقد يكون في هذا كله عامل آخر يعيق الكتابة المسرحية و يصنع محدوديتها في عدد النصوص المسرحية من جهة و في عدد الكتاب المسرحيين المتعاطين لهذا النوع من الكتابة الدرامية و الحقيقة الأخرى أن المؤلف المسرحي يجد نفسه مقيدا إذا

[1] سعاد محمد خضر : الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية صيدا ، بيروت 1967 د.ط.ص192.

[2] د. محمد الكفاط، المسرح وفضاءاته – البوليلي للطبعة – الطبعة الأولى، سوريا دمشق، 1996، ص175.

بالضيق المسرح و حركات الممثلين المحدودة، الإضاءة الموسيقى و غير ذلك مما يجري الخشبة الضيقة لكن هذا ليس مبررا لعزوف الأدباء والكتاب عندنا عن الكتابة المسرحية أو الارتداد عنها نحو الفنون الأدبية الأخرى، فالكتابة المسرحية الجزائرية غنية بتجارب مسرحية ناجحة و رائدة و كتابات مسرحية نعتت بالمتميزة لكتاب أمثال كاتب ياسين، قادة بن سميشة، محمد شواط و دويلة نو الدين، عباس بودن من سيدي بلعباس وكتاب مسرحيين آخرين أمثال عبد القادر علولة و عبد الرحمان كاكي، ومصطفى كاتب، محمد ثوري، عمر فطموش..... و غيرهم.

سابعا: المسرح رسالة تواصل و تعبير في المجتمع:

نجد الكاتب المسرحي إذ لم يحدث التغيير في صالح المجتمع من أجل الارتقاء به فما يكتبه و يقدمه ليس مسرحا لأن المسرح رسالة تحقيق و تواصل بين مرسل و مرسل إليه، وأدعو هنا إلى لحظة تأمل لتجربة الكتابة المسرحية عندنا، فالحديث عن أزمة النص المسرحي عندنا لا تعني انتقاء النص مطلقا و إنما نعني به قلة النصوص المسرحية التي تتميز ب المضمون الإنساني الرفيع و الجمال الفني البديع ،مادام أن المسرح الجزائري لا يمكنه أن يخطو أي خطوة إلى الأمام دون نص مسرحي جيد و متكامل.

الخاتمة :

عرف النص الأدبي المسرحي الجزائري تأثر فني ملحوظا مقارنة بالأنواع الأدبية الأخرى ذلك مما ظهر من المسرحيات على خشية المسارح التي توحي بوجود حركة مسرحية نشيطة و كان النص المسرحي في الجزائر تمثيليا أكثر منه أدبيا نتج عن ذلك نقص ملحوظ على مستوى الكتابة و هذا ما جعل النص المسرحي الجزائري إلى يومنا هذا، يعاني من الضعف الفني إلى درجة بعض النصوص نقع في أسفل درك الرداءة.

ارتبطت الكتابة الدرامية في الجزائر في بدايتها خاصة ارتباطا وثيقا بالعرض و لم تكن تخص بالجدية تامة متخصصين في المسرح جل الأعمال الجزائرية اعتمدت على حركة الاقتباس في تأليفها نصوص مسرحية و بالرغم من تباين موضوعات التي تناولتها المسرحيات الجزائرية، فان معظمها لم تبتعد عن تناول قضايا على الواقع المعاش في الجزائر.

كما استطاع النص المسرحي الجزائري بالرغم من الإمكانيات المحدودة أن يثبت حضوره على الساحة الثقافية، بحيث مثل القضية الجزائرية أحسن تمثيل على مستوى الرأي العالمي، كما ساهم بعد الاستقلال بمعالج قضايا المجتمع، أما عن إشكالية التلقي المسرح الجزائري، فلا زال المسرح الجزائري يتوق إلى متلقي ذواق يحس الفن المسرحي.

المصادر والمراجع:

- إدريس قرقرة : التراث في المسرح الجزائري :دراسة في الأشكال و المضامين .
- صالح لمباركة، المسرح في الجزائر ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، ط2 ، الجزائر .
- صالح لمباركة، المسرح في الجزائر ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، ط2 ، الجزائر .
- صالح لمباركة، المسرح في الجزائر ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، ط2 ، الجزائر .
- صالح لمباركة، المسرح في الجزائر، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، ط2 ، الجزائر .

- عز الدين جلاوجي : النص المسرحي في الأدب الجزائري ،منشورات أهل القلم ،ط1، الجزائر ،(د.ت) ص41 نقلا عن :عبد المالك مرتاض : فنون النشر الأدبي في الجزائر .

- احمد بيوض – المسرح الجزائري –1926–1986) منشورات .

- التبيين الجاحظية طبعة سنة 1998 .

- مجلة الأقلام: 55، 1980، الجزائر.

- شروق المسرح الجزائري 1926–1932– علالو مركز التوثيق في العلوم الاجتماعية و الإنسانية وهران .1982

- حديث مع المسرحي محمد بني قطاف افريل 1981 المسرح الوطني .

- اندري لرنيان نويشي ,ايف لاكوست : الجزائر بين الماضي و الحاضر،ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشور ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر .

– Roselyne baffet : tradition théâtre et modernité en Algérie ed l'hamattan ,paris 1985 .,

- Sidi m'hamed lakhdar barka : la chanson de geste sur la scéne ou l "expérience de ould Abderrahmane , ed C.D.S.H , Oran 1981.

– سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر ، منشورات المكتبة العصرية صيدا ، بيروت .

– د. محمد الكغاط، المسرح وفضاءاته – البوليلي للطبعة – الطبعة الأولى، سوريا دمشق، 1996